أهم الأحداث في سيرة الإمام فيصل من كتاب

الأطلس التاريخي للدولة السعودية

وضع مادّته التاريخيّة وخطّط رسومه وأشكاله وخرائطه

الدكتور إبراهيم جمعة

فيصل بن تُركي

١٢٥٠ ـ ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٤ ـ ١٨٣٨ م

١٢٥٩ ـ ١٢٨٢ هـ / ١٨٤٣ ـ ١٨٦٥ م

هو فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمَّد بن سعود. بويع بالإمامة في أوائل المحرَّم سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م على أثَر وفاة أبيه وكان يغزو في الأحساء، بايعه جنده وقادة جيشه وهو في الهفوف، ثم بايعه الناس في الرياض غداة مصرع مشاري ابن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود يوم الخميس الحادي عشر من صفر سنة ١٢٥٠ هـ، وكان مشاري قد استولى على الحكم فترةً قصيرة على أثر غدره بالإمام تركي يوم الجمعة آخِر ذي الحجة سنة ١٢٤٩ هـ.

وكانت البلاد قد تنفَّست نسيم الحريَّة، وسادها هدوء نسبي فيما بين سنتي ١٢٣٩، ١٢٤٣ هـ أيام الإمام تركي على الرّغم من وجود حاميات لمحمد عليّ في جهات متفرِّقة من أنحائها ـ أمَّا ما تمتَّعت به البلاد من هدوء فمرجِعُه إلى قوَّة الإمام تركي من ناحية وإلى انشغال محمد علي في حرب اليونان من ناحية أخرى، وكانت الدولة العثمانية قد لجأت إليه لإخماد ثورة قامت في بلاد اليونان تطالب بالانفصال عن جسم الدَّولة وتنادي بالحريَّة والاستقلال، فلبَّى وأرسل جيشه وأسطوله وخاضَ معاركَ شديدة برِّيةً وبحريَّة ضدَّ اليونانيّين كلَّفته الكثيرَ من الخسائر، وعوَّضته الدّولة عن خسائره وكافأته على خدماته فمنحَته جزيرة كِريت وشبه جزيرة الموزة.

وبسبب من انشغال محمد علي في الحرب اليونانية ضعفَت قبضَتُه العسكرية على نجد، ولزمت حامياته أماكنها واقتصرت مهمَّتها على جباية الأموال وإرسالها إلى مصر، لا تكاد تتدخَّل في الشؤون الداخليّة للبلاد.

وتبدَّلت الأحوال ابتداءً من سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣١ م حين شرع محمد علي يتَّخذ خطَّة العداء مع الدولة العثمانيَّة، تَحدُوه الأطماعُ الشَّخصية إلى تكوين أمبراطورية عربيَّة تنتظم البلدان التي تحكمها الدَّولة، ومن ثَمّ نراه يُسيِّر الجيوش إلى

الشام لانتزاعها من يد الدَّولة تمهيداً للاستيلاء على الأناضول والعبور إلى الآستانة عاصمة الخلافة.

أغرتْه انتصاراتُه الأولى في حروب الشام على تشديد القَبضة على الجزيرة العربيَّة فعاد إلى التدخُل في شؤونها.

أرسل سنة ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م حملةً بقيادة «إسماعيل آغا» نزلت ينبع ومعها «خالد بن سعود»[١]، يريد محمد علي أن يفرضه أميراً على البلاد.

وسارت الحملة من ينبع إلى المدينة المنوَّرة، فالحناكية متجهةً إلى نَجد عن طريق القصيم.

كان فيصل على عِلم بما يجري عبر البحر الأحمر ووادي الصَّفراء، يتتبَع أخبار الحملة ويرقبُ سيرها ويستشير قادة البلاد وأمراءَها، أشار عبد الله بن علي بن رشيد، أمير شمَّر والجبل، باستنفار الناس والتجمُّع في القصيم والمرابطة فيها استعداداً لملاقاة الحملة، وأُعجب الإمام فيصل بالرأي، وأرسل يستنفِر أهل البلاد فنَفروا لملاقاتها. وغادر الإمام الرياض آخر شوال سنة ١٢٥٢ هـ ورابط عند «ماء الصَّريف» قرب التنُّومة، وكانت الحملة قد بلغت «الرَّسّ» يرافقها خالد بن سعود. وتقدَّم فيصل نحو عُنَيزة وبُرَيدة يستحث أبناءَهما، ثم إلى الخَبْرا حيث صار على مقربة من الحملة، وكان الإمام على أهبَّة تامَّة لخوض معركة فاصلة ولكنَّه فضَّل أن يستشير خاصَّة رجاله، فأشاروا عليه بالتَّريُّث حتى تُصبح الظروف أكثَر ملاءَمة، ونصحوا بالانتقال إلى «عُنيزة»، فرحل الجمعُ إليها يوم الخامس والعشرين من ذي الحجَّة، وهناك عاد فاستشار خلَصاءَه في الرَّحيل عن عنيزة أو البقاء فيها فأشاروا بالرَّحيل، واستجاب الإمام وقرَّر العودة إلى الرياض.

وكان الإمام فيصل يهدف من وراء استشاراته وانتقالاته ألاَّ يُعرِّض البلاد إلى محنة قد تكون أشدَّ وأقسى من سابقتها، سيَّما وقد تبيَّن له، بعد عودته إلى الرياض، أن بعضاً من أهلها يجنحون للسِّلم دون الحرب، وسمع أن بعضاً من بدو مُطير وسبيع وقحطان قد مالأ الحملةَ ومشى في ركب خالد بن سعود ـ وهنا بدت كياسة الإمام وتَجلَّى سدادُ رأيه.. أراد أن يجنِّب البلاد ويلات حرب جديدة يعرف

---

(١) هو خالد بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، أحد أولاد سعود الكبير، وكان ممن حُملوا إلى مصر بعد حرب الدرعية، شبَّ في مصر وفقد فيها مشاربه العربية البدويَّة.

بثاقب فِكره قساوتها وضراوتها، وعندما دخل إسماعيل وخالد عُنيزة في المحرَّم سنة ١٢٥٣ هـ، وفي الموقف الدقيق وحتى لا تَقَع الواقعة، آثر الإمام أن ينأى بنجد عن الأخطار، فقرَّر بعد التفكُّر والتدبُّر أن يترك الرياض ليعودَ إليها موفورَ الكرامة، محتفظاً بشرف بلاده في يوم كان بواسع إدراكه، ونافذِ بصيرته يَراه قريباً.

رأى الإمام أن يخرُج إلى الأحساء فأصدر أوامره سرّاً إلى أنصاره أن يَجلوا عن الرياض، وغادر القصر يصحبه فرسانه إلى الخرج في طريقه إلى الأحساء، وهناك في الأحساء تلقَّاه أميرها وقادتها وعلماؤها وعربان من مُطير والعُجمان والسُّهول وسُبَيع بالترحيب والتبجيل وعاهدوه على النَّصر، ونزل قَصر الكوت.

وفي يوم السَّبت السابع من صفر سنة ١٢٥٣ هـ دخلت حملة إسماعيل الرياض، ونزل إسماعيل قائد الحملة ومعه خالد بن سعود القصر، أما العسكر فقد جعلهم إسماعيل خارج المدينة، وكان إنزال إسماعيل لخالد قصر الرياض في ذلك اليوم بمثابة تنصيبه أميراً على البلاد، تَبعه أناس من أهل العارض وسُدير والوَشم والقصيم، وعصَته من بادىء الأمر بلدان الحوطة والحلوة والحريق، وكانت قد قرَّرت منازلة الحملة إن هي زَحفَت إلى الجنوب.

يقول ابن بشر في حوادث سنة ١٢٥٣ هـ[1]، أن خالداً ركب هو وإسماعيل وعسكره من التُّرك، ومعهم عدد من البوادي، وساروا أوَّل أيام ربيع الثاني لقتال أهل الحوطة والحلوة والحريق. فلما وصلوا خفس دغرة جنوبيَّ الدَّلم جاءهم «فهد ابن عفيصان» بغزو أهل الخرج فأخذوا يتشاورون، أشار من أشار بمداهمة الحلوة واحتلالها ـ قال: فإذا ملكتموها، كاتَبكم من كان في الحوطة والحريق فأتى إليكم، واستقرَّ الرأي لديهم على مداهمة الحلوة، وساروا من الخفس، وهم نحو سبعة آلاف مقاتل من «الترك» والبدو، فقصدوا الحلوة وكان أهلها قد أخرجوا نساءَهم وأبناءَهم إلى الحوطة، ضَلُّوا الطريق إليها فنزلوا حَرَّةً قريبةً منها وبقوا فوقها حتى وقعت المعركة.

كان الشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ علي بن حسين، والشيخ عبد الملك بن حسين، والشيخ حسين بن حمد بن حسين من أحفاد الإمام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب قد خرجوا إلى الحُلوة والحريق عندما أقبلت حملة إسماعيل إلى

(١) ابن بشر: عنوان المجد، طبعة وزارة المعارف السُّعودية، ص ٣١٧، ٣١٨.

الرياض، فلما خرج إسماعيل يقصد هذه الأنحاء قام أحفاد الشيخ يحثون أهل الحلوة والحريق على الثّبات والوقوف في وجه المغيرين، وكانوا رحمهم الله يُستشارون في عظائم الأمور فيُشيرون بالرأي السّديد.

قرَّر أهل الحلوة والحوطة والحريق ونعام الوقوف في وجه العدوّ، وتوافدت إلى أرض المعركة جموعهم: أهلُ الحلوة يقودهم رئيسهم محمَّد بن خُرَيِّف، وأهل الحوطة يقودهم الفارس الشجاع إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم رئيس آل سعود، وفوزان بن محمد رئيس آل مرشد، وأهلُ الحريق يقودهم أميرُهم تركي الهزَّاني، وأهل نَعام يقودهم رئيسهم زيد بن هلال، وبدأت المعركة فوق الحرَّة القريبة من الحلوة.

صعد أهل الحلوة إلى الجبل لقتال الغُزاة، ودار القتال من ارتفاع الشمس إلى ما بعد الظهر، وأتاهم المدَد من أهل الحريق وأهل الحوطة، وبدَت تباشير النصر وكان جنود الناحية ورؤساؤُهم عند الخندق الذي حفروه حول البلدة، واستمر أهل الحلوة وأتباعُهم في قتال عنيف مع جنود العدوّ، وأقبل تركي الهزّاني بجمع عظيم من رجاله وقصد ميمنة العدوّ وفيها الخيَّالة والفرسان، وأتى إبراهيم بن عبد الله بمجموعة من أهل الحوطة فقَصد الميسرةَ، ووقع القتال الرَّهيب ـ استولى إبراهيم بن عبد الله على المدافع ورماها من رأس الجبل، وما لبثت الهزيمة أن حلَّت بالعدوّ. وكان الأعراب أول من انهزَم، ثم لحِقت الهزيمة بقيَّة الجنود، بادَ معظمهم قتلاً وظمأً، وهرب الأعراب على رواحل الجند، وتفرَّقت الخيَّالة وهلَكت بدورها بين الشِّعاب، ونجا خالدٌ بنفسه وعاد مسرعاً إلى الرياض، وتبعه إسماعيل وشِرذمة قليلة من الخيالة، وغَنِم أهل الحوطة جميع ما تركت الحملة وراءها من مال وسلاح وخيام ـ كان ذلك في منتصف ربيع الثاني سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م.

انهزمت حملة إسماعيل آغا في غزوة الحلوة وانهزم معها خالد بن سعود وانتصرت الإرادة الوطنية. . وبلغت أخبار الانتصار مسامعَ الإمام فيصل في الأحساء فخفَّ ومعه كثير من أتباعه وأقاربه ونفر من أهل البادية وأهل الأحساء قاصداً الحوطة حيث التقى بأهلها من بني تميم وبأهل الحريق من بني هزَّان وأهل الخَرج ورئيسهم فهد بن عفيصان، وزحَف بهؤلاء وهؤلاء نحوَ الرياض لقتال خالد، وإسماعيل وفلول الحملة المنهزمة، وعندما بلغ «المصانع» خرج إليه خالد وعسكر ممَّن كانوا في الرياض ودار بينهما قتال شديد كانت الغَلبة فيه لقوات فيصل، وارتد المقاتلون

من قوات خالد نحو الرياض فاعترضتهم قوات فيصل ، فانحازوا إلى منفوحة يطلبون الأمان ، فأمَّنهم فيصل وأمَّن معهم أهل منفوحة ، فصالحه الأخيرون ، وبايعوه ، وعاد فيصل إلى الرياض يحاصرها ، ونزل بجنوده بيوت النَّخيل قُبالتها أول يوم من جمادى الآخرة ١٢٥٣ هـ ، واستمرَّ الحصار مدَّةً جاوزت الشهرين استطاع فيصل خلالها أن يَستولي على قسم من المدينة ، وكاد المحاصرون أن يستسلموا لولا أن وافتهم النَّجدات من بعض عُربان سُبَيع وقحطان ممَّن جاءوا لمساعدة خالد ، وتبدَّل الموقِف ، واستشار الإمام خُلصاءه فأشاروا بفكِّ الحصار عن الرياض ، وفي أواخر الليل يوم الثاني عشر من شعبان سنة ١٢٥٣ هـ فكَّ فيصل حِصار الرياض ونزل عند منفوحة ، وتراسل خالد وفيصل في طلب الصلح ، ولما كان يوم السابع عشر من الشهر المذكور تواعدا ، فخرج فيصل من مكانه ذلك ، وخرج إليه خالد من الرياض ، وجلسا بين البلدين من صلاة الظهر إلى ما بعد صلاة العصر ، فلم ينعقد بينهما صلح لأنَّ أهل نجد لا يرضون ولاية التّرك ولا أتباعهم ، وثارت ثائرة الحرب بين فيصل وخالد من جديد .

وحفلت الفترة الباقية من سنة ١٢٥٣ هـ بالمناوشات بين طرفي القتال حتى كانت أواخر العام حين وصلت إلى ينبع حملة أخرى أرسلها محمد علي بقيادة خورشيد باشا . بدأ خورشيد منذ نزل المدينة المنوَّرة يُصانع الإمام ، أرسل إليه الرسل والهدايا مع دعوة إلى الاستسلام ، وفي أول ذي الحجَّة ندَب الإمام أخاه جلوي بن تركي لمقابلة خورشيد في المدينة المنوَّرة ومعه هدايا من الركائب العمانيات والخيل والقيلان ، فتقبَّلها وطلب من جلوي البقاء عنده ليُصاحبَه في ذهابه إلى القصيم ، وفي صفر سنة ١٢٥٤ هـ رحل خورشيد من القصيم فنزل عُنيزة وأمضى بها فترة تفقَّد فيها المنطقة وخطَّط للوثبة التالية ، وكان خورشيد ، وهو في القصيم ، على صلة تامة بإسماعيل وخالد بن سعود في الرياض يمدُّهما بالنجدات من الجنود والمؤن والعتاد في وقت كانت تُعاني فيه الرياض من شدَّة القحط والغلاء ، وأحسَّ جلوي بما يُضمِر خورشيد من نوايا الغدر فاستأذن في الذّهاب إلى بُريدة لبعض شأنه فأذِن له خورشيد ، وما كاد يخرج من عُنيزة حتَّى اتجه مسرعاً إلى أخيه الإمام ، وكان ينزل الخَرج ، ليخبرَه أن خورشيد يُعدُّ لقتاله . . فلما كانت الأيام الأولى من رجب سنة ١٢٥٤ هـ ، رحل خورشيد بعسكره إلى الوشم ولم يلبث أن سار إلى الرياض ، فدخلها وفيها خالد بن سعود .

مكث خورشيد في الرياض بضعة أيام وخرج منها هو وخالد بن سعود «بالعساكر العظيمة» يقصدون «الدِّلم» وفيها فيصل بن تركي، وثبت فيصل للقتال، ودارت بين قوّاته وقوات خورشيد وخالد معركة حامية عند الخَراب على مقربة من نعجان (شعبان سنة ١٢٥٤ هـ) لم يكن النّصر فيها حليفَ الإمام لتباين القُوى واختلاف العُدَّة والعتاد، وعاد فيصل والذين معه إلى منازله قُوَى العدوّ عند سمحة وقصر هينة والسَّلَمية والحائر.

ولكنَّ الإمام فيصل رأى بحكمته ألاَّ فائدة من بذل الأرواح وتعريض البلاد للدَّمار والخراب في حرب ضروس تدور بين قوّتين غير مُتكافئتين الويل فيها للغالب والمغلوب، وقد رأى السَّلام أفضل، وأرسل إلى خورشيد يعرض المصالَحة، فرحّب خورشيد بذلك وأبدَى استعداده لقبول شروط الإمام على أن يُسافر الإمام إلى مصر حتّى لا تثور ثائرةُ الحرب من جديد.

وتمّ الصُّلح في الثالث عشر من رمضان ١٢٥٤ هـ، وتوجَّه الإمام فيصل إلى المدينة المنوَّرة، ورحل منها إلى مصر لثمان بقين من رمضان، وبرفقته أخوه «جلوي» وابن أخيه عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله[1] وولداه محمَّد وعبد الله، وأُنزل في مصر منزلةً كريمة تحت حراسة مشدَّدة، يقضي ليلَه في التَّهجُّد والصَّلاة ونهاره في الصَّلاة وتِلاوة القرآن، وهكذا افتدَى فيصل بلادَه بما عُرِف عنه من رَويَّة وسداد رأي، جنَّبها ويلاتِ حرب طويلة الأمد مجهولة النتائج حين عرضَ الصُّلح وحين أتمَّه، وانتهى بهذا الصُّلح الطورُ الأولُ من حكمه، ولم تطُل غَيبته في مصر، فسرعان ما خرجت القوات الأجنبية من البلاد، وسرعان ما عاد فيصل إلى نجد يستأنف حُكمه لها، عزيزةَ الجانب، محرَّرةً من كلِّ آثار العدوان.

ودارت عجلة التاريخ دوراناً آخر.

خدم محمد علي أغراض السلطان العثماني خدمات جُلَّى في أوقات عصيبة مرَّت بالدولة، كان أكثر الوُلاة طاعةً وأسرعهم تجاوُباً، لبَّى نداء السلطان حين أهاب به أن يحمل على جزيرة العرب لإخماد الحركة الإصلاحية التي دعا إليها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب خشية أن تكون خروجاً على السلطنة والخلافة ونزوعاً

---

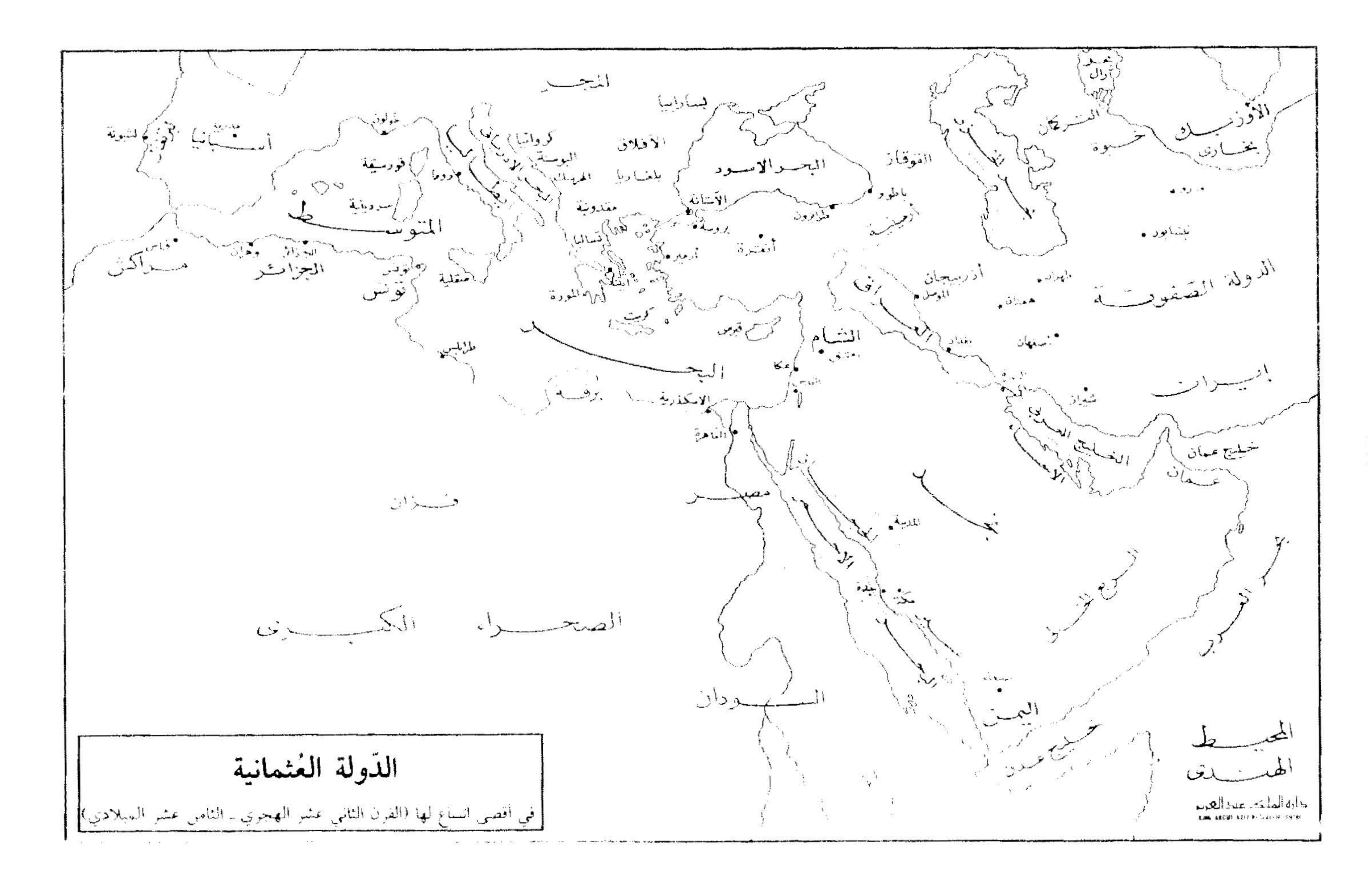
(١) هو عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن سعود الملقب بصنيتان، غلب عليه وعلى ذريته هذا اللقب (ابن بشر: عنوان المجد، هامش ص ٣٢٧).

إلى الاستقلال. وكانت نجد في زعم الدَّولة العثمانية تابعةً لحكم آل عثمان، وما زال محمد علي بالجزيرة العربيَّة حتى استولى على الحجاز وعسير وتِهامة وتغلغل في نجد حتى الدَّرعية، وأجرى بها ابنه إبراهيم ما أجرى من دمار وتخريب وقتل وحرق مما تسودُّ من جرائمه الوجوه وتقشعرُّ من هوله الأبدان.

كما لبَّى نداء السلطان وهو يدعوه إلى الوقوف بجانبه في حرب المُورة سنة ١٢٣٧ هـ/ ١٨٢١ م، ولقد أسهم محمَّد عليّ إسهاماً واضحاً في إخماد ثورة المُورة، وكان هذا الجزء من بلاد اليونان قد أعلن استقلاله عن الدَّولة، وأدَّت قوات محمَّد عليّ البريَّة والبحرية دوراً كبيراً في إرهاب الثوَّار وكادت تُخفِقُ الثورةُ لولا أن تدخلت الدُّول الأوروبية[١]، ذلك أن هذه الدول وقفت إلى جانب اليونانيين وأيدت حقَّهم في الاستقلال، وتفطَّنت إبَّان ذلك إلى خطر بدأَ يهدِّد أمْنَ هذا المنطقة هو ظهور قوة جديدة يُخشى منها على الدَّولة العثمانية ذاتها هي قوة محمد علي، ومن ثَمَّ أخذت بريطانيا وحُلفاؤها يعملون على تحطيم الأسطولين المصري والعثماني في معركة «نڤارين» سنة ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٧ م وانكسرت بذلك شوكة محمد علي إلى حدّ، وآثر الانسحاب محتفظاً بقواته يستعين بها على ما كان يدور بخلده من أطماع. استجابَ لمفاوضات الدُّول الأوروبيّة وسحب قُوَّاتِه من المُورة متخلياً عن الباب العالي في أحرج ظروفه وأعصبِها، وبدأت الوحشةَ بينه وبين الدَّولة.

وبدأت تنكشف النوايا الحقيقية لمحمَّد علي. انتهز فرصة خلاف تافه وقع بينه وبين والي عكَّا سنة ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠ م فأرسل حملةً بقيادة ابنه إبراهيم اكتَسحت الشام دون مقاومة، رحَّب بها الشاميُّون رغبةً في الخلاص من الحكم العثماني وتأثُّراً بالشعارات العربيَّة التي رفعها إبراهيم، ولم يقف زحفُ الجيش الغازي عند حدود الشام الشمالية، بل اقتحمها موغِلاً في الأناضول حتَّى بلغ «كوتاهية» وصار قاب قوسين أو أدنى من الآستانة عاصمة الخلافة.

(١) إنجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا في ذلك الوقت.


المجر
بسارابيا
الأفلاق
البحر الأسود
القوقاز
التركمان
الأوزبك
خيوة
بخارى
بحر آرال
أسبانيا
مدريد
لشبونة
فرنسا
جنوة
فورسيقة
سردينية
روما
كرواتيا
البوسنة
بلغاريا
مقدونية
الآستانة
بروسة
طرابزون
باطوم
أرمينية
أنقرة
أزمير
تساليا
أثينا
المورة
كريت
قبرص
المتوسط
مراكش
فاس
الجزائر
وهران
تونس
صقلية
طرابلس
برقة
البحر
الإسكندرية
القاهرة
مصر
الشام
دمشق
عكا
أذربيجان
الموصل
بغداد
همدان
أصفهان
شيراز
الدولة الصفوية
إيران
الخليج العربي
خليج عمان
عمان
المدينة
مكة
جدة
الربع الخالي
بحر العرب
اليمن
صنعاء
خليج عدن
المحيط الهندي
فزان
الصحراء الكبرى
السودان
الدّولة العُثمانية
في أقصى اتساع لها (القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي)
دارة الملك عبدالعزيز

أفاقت دول أوروبا إلى خطورة الموقف وما قد ينجم عن استيلاء محمد علي على عاصمة الدولة العثمانية وضمِّ أملاك الدولة إلى أملاكه، مما يزيد من قُوَّته ويحول بين الدُّول الكبرى وبين تحقيق أطماعها الاستعمارية في الشرق، ودارت المراسلات بين إنجلترا وروسيا والنَّمسا وبروسيا حول الخطورة التي يُشكِّلها تقدم محمَّد علي في الأناضول وتهديده للعاصمة التركية، وكانت الدولة العثمانية، في ذلك الوقت، غايةً في الضَّعف تكاد تلفظ أنفاسَها الأخيرة.

وأجمعت الدُّولُ الكبرى سالِفة الذِّكر على ضرورة عقد مؤتمر يعالج المشكلة، وعُقد في لندن في شهر يونيو ١٨٤٠ م/ ١٢٥٦ هـ مؤتمر دُعيت إلى حضوره الدَّول العثمانيَّة تستهدف مداولاته الإبقاءَ على الدَّولة العثمانية وحرمان محمَّد عليّ من الأراضي التي اغتصبَها وردها إلى الدَّولة، بل وحرمانه من مصر ذاتها بإعادتها إلى السِّيادة العثمانية.

وانتهت مداولات المؤتمر المنعقد في لندن باتفاق السُّلطان العثماني مع ملكة بريطانيا وأمبراطور النمسا والمجر وبُوهيميا وقيصر روسيا وملك بروسيا على تسوية المشكلة على الوجه الآتي:

١) يمنَح السلطان محمّداً عليّاً وسُلالته المباشرة من بعده باشويَّة مصر[١] ويمنح باشويَّة عكا[٢] مدّة حياته، مع إدارة قطاع من سورية، يحدَّد فيما بعد - شرط أن يقبل هذه المِنَح بعد تبليغه إياها في الإسكندرية على يد مندوب مُوكَّل من السُّلطان.

٢) وفي مقابل ذلك يتعهَّد محمَّد علي بتسليم مندوب السُّلطان «الأوامر التي يُصدرها لقوَّاد البرَّ والبحر بالانسحاب من جزيرة العرب والمدن المقدَّسة وجزيرة كريت ومن الأجزاء الأخرى المملوكة للسُّلطان مما هو خارجٌ عن حدود مصر وحدود ولاية عكا»، فإذا لم يقبل محمَّد عليّ هذه التَّسوية خلال عشرة أيام، يعدِل السُّلطان عن مَنْحِه باشويَّة عكا، ويقتصر الأمرُ على منحِه باشويَّة مصر وحدَه يحكمُها هو وسلالته المباشرة من بعده بالتَّوارث - شرط أن يقبل هذا خلال عشرة أيام أخرى تالية للعشرة الأولى، وأن يُسلِّم لمندوب السلطان الأوامر اللازمة لقُوّاد البرِّ والبحر بالانسحاب على الفور.

---

(١) ولاية مصر.

(٢) ولاية فلسطين.

وجاء إلى الإسكندرية يوم ١٤ من أغسطس ١٨٤٠ م «رفعت بك» مندوب السُّلطان، وزار، وبرفقته قناصل الدُّول الأربع، محمّداً عليًا وأنهى إليه ما استقرَّ عليه الرأي بين الأطراف المعنيَّة بالمسألة، وأبلغه شروط «معاهدة لندن»، فأبى محمَّد عليّ واستكبر وقال إنَّ ما يؤخذ بالسَّيف لا يُردُّ إلا بالسَّيف، فأُمهل عشرة أيام عاد بعدها مندوب السُّلطان يطلب الجواب فكان أن رفض محمَّد عليّ، فأُبْلِغَ ألاَّ حقَّ له إلَّا في ولاية مصر وحدها، ثم أُمهل عشرة أيام أخرى ـ وعندئذ رغب محمَّد عليّ أن يكون المندوب وسيطاً بينه وبين السُّلطان بغير تدخل الدُّول، عرضَ محمَّد عليّ على السّلطان أن تكون مصر له ولورثته من بعده وأن يكون له حكم سورية مدَّة حياته، فرفضَ السُّلطان ورفضت الدُّول الأربع ما عرض محمد عليّ، واستقرَّ الرأي عند الأطراف المتشاورة على حرمانه من ولاية مصر ذاتها.

وفي يوم ٢٢ من نوفمبر ١٨٤٠ م/ ١٢٥٦ هـ وصل إلى مياه الإسكندرية أسطول بريطاني مكوَّن من ثمان بوارج، وجَّه قائده الجنرال «نابيير» إنذاراً إلى محمد علي بضرورة التسليم. وبعد أخذٍ وردٍّ استدام خمسة أيام أذعَن محمد علي وقرَّر الجلاء عن جميع أراضي السُّلطان العثماني ما عدا مصر التي تبقى في حوزته، على أن تكفل الدُّول المتحالفة حقَّه فيها.

وفي الثالث عشر من فبراير ١٨٤١ م أصدر السُّلطان العثماني فرماناً بإسناد ولاية مصر إلى محمَّد علي يحكُمها هو وسلالته المباشرة بالتَّوارث، وتمَّ جلاء قواته عن جميع البلاد التي استولى عليها باسم السُّلطان تارة واغتصاباً من السُّلطان تارةً أخرى.

وعلى هذا النَّحو من الانحدار والاستسلام انتهى حكمُ محمد علي للجزيرة العربيَّة.. تلقَّت قوَّاته الأمرَ بالخروج منها صاغرةً، وزال بالقهر والقسر حكم قسريّ من العدوان والبغي، وأخذت البلادُ تتنفَّس الصُّعداء لولا تلك الآثار الأسيفة التي خلَّفها حكما خالد بن سعود وعبد الله بن ثنيّان فيما بين عامي ١٢٥٤، ١٢٥٩ هـ، من فوضى وإضعاف وانحلال، مما جعل مهمَّة استصلاح الأحوال شاقةً وعسيرة بالنسبة لمن يَلي الحكم من الأئمَّة الشرعيِّين.

وعاد الإمام فيصل إلى نجد منطلقاً من عِقاله في مصر أوائل سنة ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م ومعه أخوه جلوي وابن عمِّه عبد الله وولده إبراهيم، نزل مدينة «حائل» وهناك استقبله أميرها عبد الله بن علي بن الرشيد بالحفاوة، وقدَّم له الرجالَ والمالَ،

وأرسل الرُّسلَ إلى رؤساء البلاد وأمرائها مبشّراً بوصول الإمام وصَحْبه، وكان أهلُ عنيزة أوّل من تلقّى الخبر ورحبوا بالإمام، بعث رئيسُها عبد الله بن سليمان بن زامل رسولاً يدعو الإمام إلى زيارة عُنيزة، فلبّى الإمام، وانتقل مع أصحابه وأنصاره إليها، وكان ذلك بداية تحرُّكه لاستلام الرياض.

سمع عبد الله بن ثنيّان بوصول الإمام فجمع بعض أنصاره وقصد بُريدة يبغي قتاله، وسرعان ما تبيّن عجزه فعاد إلى الرياض.

وسَرت أخبار وصول فيصل مسرى الرّيح، فأقبل عليه رؤساء البلاد يجدّدون له البيعة، فغادر الإمام عُنيزة إلى «الوشم» وتلقّى بيعة أهلها، وسار إلى «حريملا» وبقي فيها أياماً تتوالى عليه الوفود من كل صوب تبايعه على السّمع والطاعة. ومن حريملا أرسل إلى ابن ثنيّان يدعوه للمصالحة حقناً للدّماء، على أن يغادر الرياض بأتباعه وجنوده إلى حيث يشاء، وأن يكون له من الخراج ما يكفيه، فرفض ابن ثنيّان وأصرَّ على المقاومة، عندئذ تقدم فيصل إلى «سدوس» ثم إلى «منفوحة» وصار على مقربة من أنصاره في الرّياض وأخذ يراسلهم في السّر للاتفاق على الطريقة التي يقتحم بها المدينة - واقتحم «جلوي» الرّياض تحت جُنح الظلام طبقاً لخطّة مرسومة، واستولى عليها ولاذ ابن ثنيّان بالقصر فتحصّن فيه، ودخل الإمام الرياض دون مقاومة؛ وبعد حصار حول القصر دام عشرين يوماً أرسل ابن ثنيّان إلى فيصل يطلب الصُلح فأرسل إليه «عبيد الرشيد» يفاوضه، ولم تُسفِر المفاوضة عن نتيجة، وخاف ابن ثنيّان مغبّة المراوغة، فغادر القصر ليل ثاني عشر من جمادى الأولى متخفياً، إلاّ أن رجلاً من أنصار الإمام قبض عليه وجاء به إليه فجرّده الإمام من سلاحه وزجَّ به في السّجن، وبقي ابن ثنيّان في سجنه في منتصف جمادى الأخرة، أمّا الّذين كانوا معه فقد عفا عنهم «فيصل»، وخلُصَت البلاد لإمامها الشرعي، فاستأنف حكمه لها لمدى ثلاثة وعشرين عاماً لا يقوى على منازعته مُنازع.

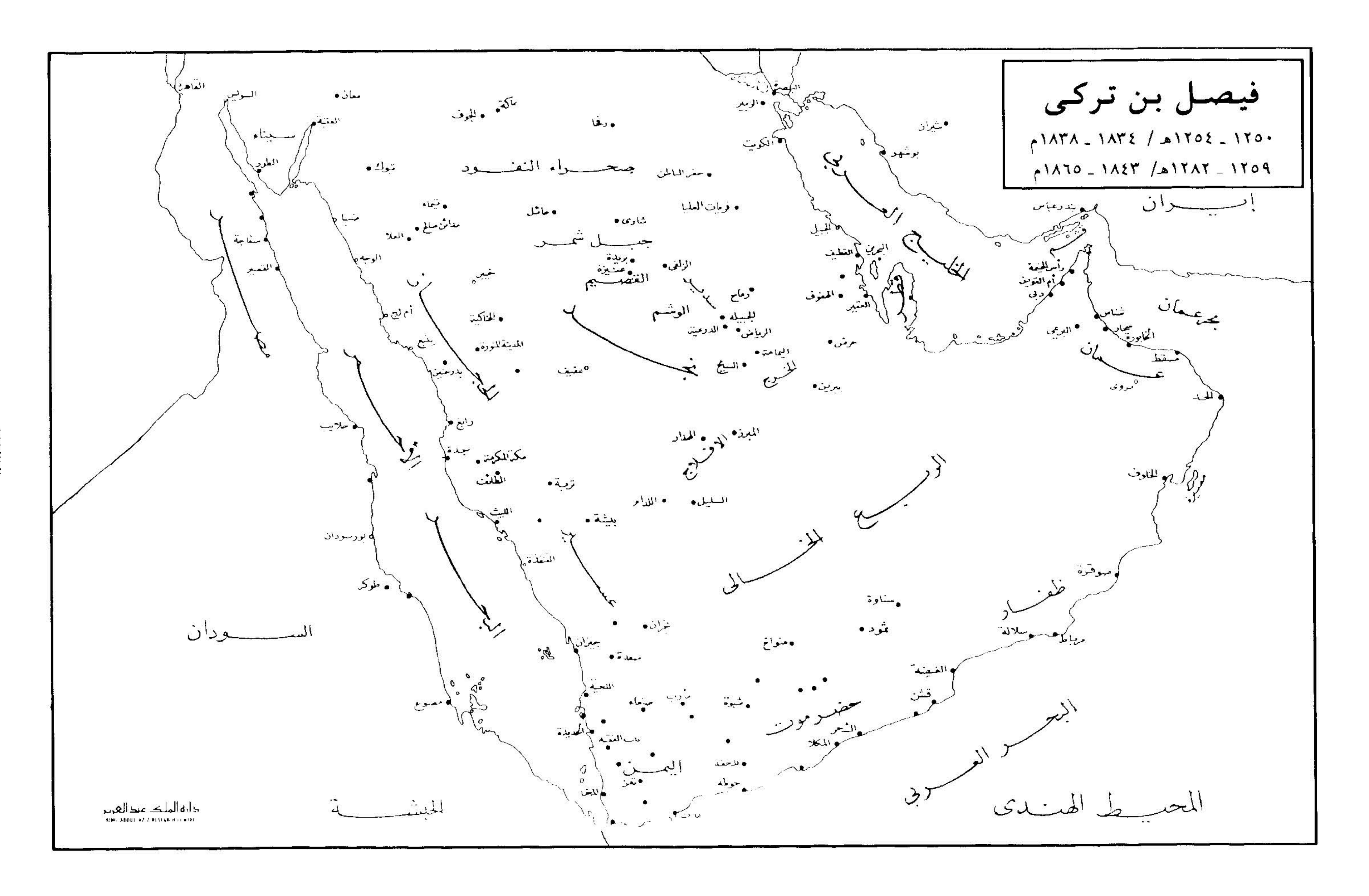
استقرت الأمور في نِصابها، وهدأت الأحوال في نجد، وراح فيصل يستعيد سلطان آل سعود في نواحي الخليج. غزا آل مُرّة وأعادهم إلى الطاعة، وسار إلى القطيف فأمّن سيادته عليها، وذهب إلى الدمام وكان قد نزلها رؤساء البحرين (عبد الله ابن خليفة وأبناؤه) فحاربهم حتّى سلّموا وجلوا، غنِم أموالهم وقفَل راجعاً إلى الأحساء بعد أن ترك حاميةً ترابط في قصر الدّمّام - كان ذلك في أواخر سنة ١٢٦٠ هـ.

وفي الأحساء أقام نحو أربعين يوماً وفد عليه خلالها رؤساء العربان، ورؤساء عمان وابن سُويط رئيس الظَّفير يقدِّمون الطَّاعة والولاء ثمَّ رحل آيباً إلى الرّياض.

وفي سنة ١٢٦١ هـ سار الإمام فيصل إلى الأفلاج لاضطراب وقع هناك، فضرب على أيدي المفسدين، وفي نفس العام وقع اضطراب آخر في سيح آل حامد من الدَّواسر، فأرسل الإمام غزواً بقيادة أخيه جلوي أتبعه بغزو آخر يقوده ابن أخيه عبد الله بن إبراهيم، وحقَّق الغزوان نجاحاً كبيراً، وطلب العابثون الصُّلح وبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.

وفي أواخر سنة ١٢٦١ هـ تصدَّى «فلاح بن حِثلين»[1] رئيس العُجمان ومعه قومه ورجال من سُبيع إلى «حاجٍّ» كثير من الأحساء والقطيف والبحرين والعجم فأمر الإمام فيصل بغزو هؤلاء، وخرج من الرياض آخر ذي القعدة ومعه الشيخ عبد الرحمن بن حسن ونزل قرب حريملا، وتريَّث حتى اجتمع له عدد وفير من الجُند ورحل إلى «القطيمة» حيث وافاه متعب بن عبد الله بن الرشيد أمير الجبل بغزو من شمَّر ومعه هديَّة من الخيل والرِّكاب، وما إن سمع ابن حِثلين بهذا الغزو حتَّى انهزم إلى دِيرة بني خالد، ثم رحل الإمام فنزل «مُجزَّل»، وهناك وافاه علماء سُدير مرحبين مؤيِّدين، ثم انتقل فنزل «رُبَيداء»، الماء المعروف في ديرة بني خالد، وهناك وافاه رؤساء العُجمان وسُبيع يسألونه ألاَّ يأخذهم بجريرة ابن حِثلين، وأبدوا رغبتهم في الانسلاخ عنه، فعفا عنهم وأمرهم بالتَّخلِّي عنه والخروج من دِيرة بني خالد ففعلوا، وهرب ابن حِثلين إلى «محمد بن هادي بن قرملة» وكان نازلاً على «الخفس» الماء المعروف في «العرمة» فلاحقه الإمام هناك ولكنَّه تمكَّن من الفرار، وقَفل الإمام راجعاً إلى الرياض مرجئاً أمر ابن حِثلين ليظفرَ به في وقت آخر.

(١) وكان الإمام تركي بن عبد الله قد أصلح بينه وبين قومه العجمان وأحسن إليهم وبذل فيهم العطاء وأنزلهم ديرة بني خالد في الأحساء وصارت لهم بذلك شوكة.


فيصل بن تركي
١٢٥٠ _ ١٢٥٤هـ / ١٨٣٤ _ ١٨٣٨م
١٢٥٩ _ ١٢٨٢هـ/ ١٨٤٣ _ ١٨٦٥م
إيران
الخليج العربي
صحراء النفود
جبل شمر
القصيم
الوشم
سدير
نجد
الخرج
الحجاز
عسير
الربع الخالي
حضرموت
اليمن
ظفار
عمان
جعمان
البحر الأحمر
البحر العربي
المحيط الهندي
السودان
الحبشة
مصر
سيناء
القاهرة
السويس
العقبة
الطور
معان
الجوف
سكاكا
رفحا
تبوك
تيماء
مدائن صالح
العلا
حائل
شاري
حفر الباطن
قريات العليا
الكويت
الزبير
البصرة
بوشهر
شيراز
بندرعباس
الجبيل
القطيف
البحرين
الهفوف
العقير
بريدة
عنيزة
الزلفي
رماح
الجبيلة
الرياض
الدرعية
اليمامة
السيح
حرض
يبرين
خيبر
الحناكية
المدينة المنورة
ينبع
الوجه
أم لج
بدر حنين
عفيف
رابغ
جدة
مكة المكرمة
الطائف
تربة
بيشة
الليث
القنفذة
السليل
اللدام
المدار
الأفلاج
جيزان
صعدة
نجران
منواخ
ثمود
سناوة
صنعاء
شبوة
الحديدة
تعز
المخا
المكلا
الشحر
قشن
الغيضة
سلالة
مرباط
صوقرة
الحلوف
الحد
مسقط
صحار
شناص
البريمي
رأس الخيمة
أم القوين
دبي
سواكن
القصير
سفاجة
حلايب
بورسودان
طوكر
مصوع
دارة الملك عبد العزيز

وكان ابن حثلين قد وقر في نفسه أنه لا يستطيع العودة إلى ديرة بني خالد بغير مصافاة «الدُّويش» زعيم مُطير، فسار بعَدد قليل من العُجمان إلى «ابن غنيمان» رئيس الملاعبة من مطير يطلب منه أن يُخبره وأن يجمع بينه وبين الدُّويش فأبى وأرسل يُخبر الدُّويش، فركب هذا من فوره إلى ابن غنيمان ورحل معه بابن حثلين ورجاله فأدخلهم في عُربان مطير. وركب الدُّويش في نفر من قومه إلى الرِّياض، فلما قدموا على الإمام تحدَّث إليهم بما فعل ابن حثلين بالمسلمين من حاجّ بيت الله مما يستوجب إمساكه والثأر منه، فلم يخالف الدُّويش رغبة الإمام، وأركب فيصل مع الدُّويش رجالاً يُمسِكون بابن حِثلين، فساروا إليه وأمسكوا به وقصدوا به إلى الأحساء وأميرُها حينذاك أحمد السُّديري وأدخلوه «قصر الكوت» وقتلوه جزاءً وفاقاً على ما فعل من قطع السَّبيل على حجاج البيت الحرام.

وفي سنة ١٢٦٤ هـ سار فيصل إلى عربان الدَّعاجين من عَتيبة ليؤدبهم على ما بدر منهم من عدوان على قافلة للحجَّاج، وفي نفس العام ركب إلى الخرج يرتِّب الحُصون وينظر في العيون[١]، وجعل ابنه «سعود» أميراً على هذه النّاحية وأنزله قصر الدَّلم فعمَّر ما خُرِّب وأشاع الأمن والطمأنينة هناك.

كان فيصل على عادة آل سعود يندب أبناءه لتأديب المارقين، وكثيراً ما ندب عبد الله لإخماد حركات المفسدين في القصيم وأرض العُجمان فيما جاوَر الكويت فأحرز من النصر ما ثبَّت أركان الدَّولة وأراح بالَ الإمام.

كان فيصل شديداً لا يقبل الهوادة فيما يراه من حَقِّ الله وحقِّ الوطن وحقِّ الرعيَّة، لا يُغمِض عينه عن كبيرة أو صغيرة يرى فيها مساساً بالدِّين أو الدَّولة، يُقيم على الأنحاء من يرى فيه الصَّلاح، ويعزل من يرى فيه العِوَج، أدَّب العُصاة وأخمدَ الفِتَن، كَبَح الشرودَ وحدَّ الحدود وكفل للبلاد، بحَزمه وعزمه وحسن سياسته وعدلِه، الأمن والرَّخاء والمكانةَ الرفيعة؛ توفي رحمه الله في الرِّياض لِتسع بقين من رجب سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م.

وكانت لفيصل سياسة خارجيَّة تشبه سياسة سلفِه سعود الكبير من حيث مصافاة الدُّول التي تعترف بحقِّ آل سعود في أرضهم وبما حقَّقوه من سيادة ناحية الشرق والجنوب الشرقي من الجزيرة العربيَّة في الأحساء وعُمان، وكانت بريطانيا حريصةً على صداقة آل سعود، تعترف بحقوقهم التَّقليديَّة في الأحساء والبوريمي، وترى

(١) عيون الماء التي يشتهر بها هذا الإقليم.

فيهم القوَّة النَّامية التي تحفظ التَّوازن في الجزيرة، وبالأخص في منطقة الخليج.

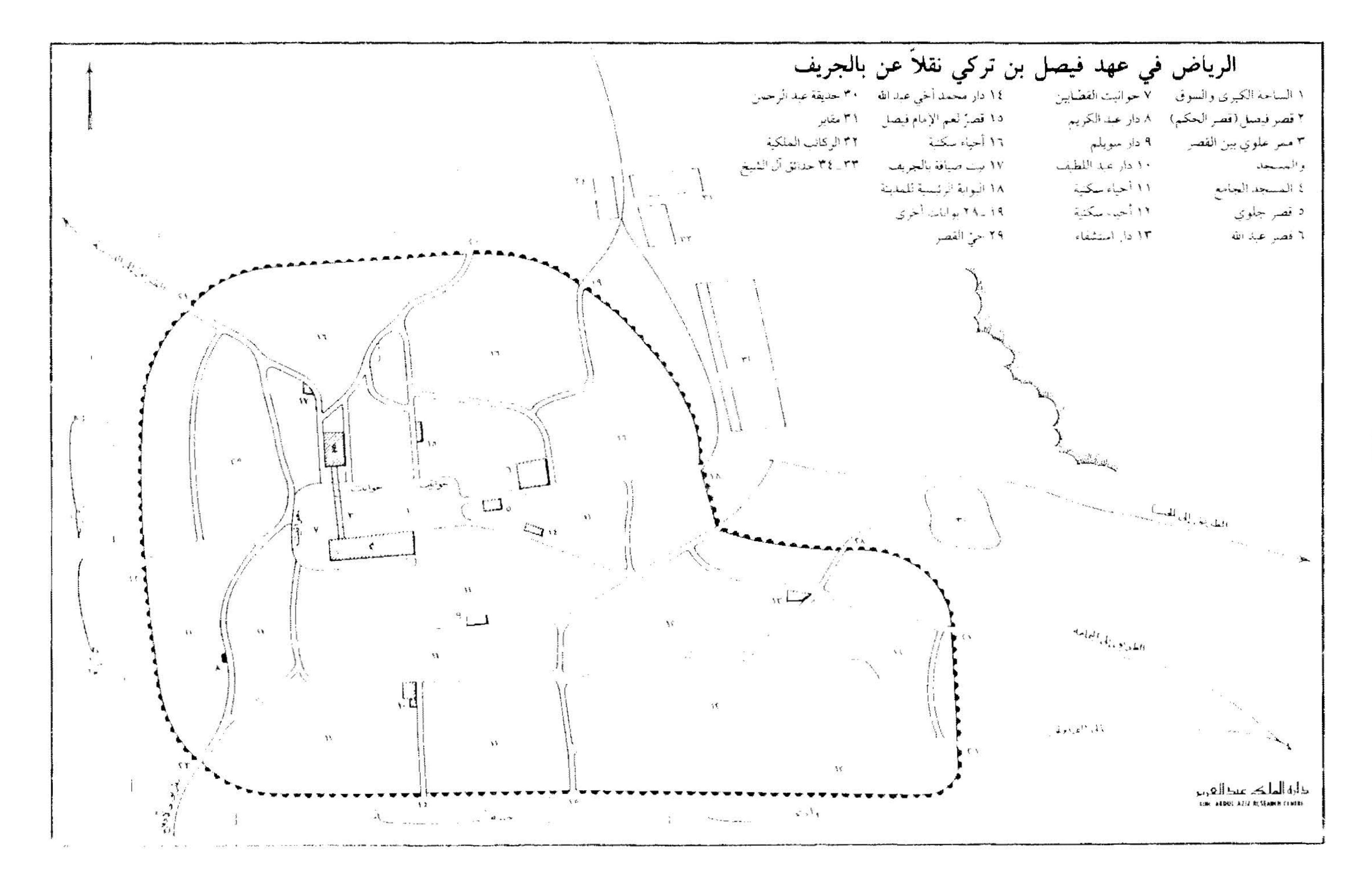
أمَّا بالنسبة للدَّولة العثمانية فكان آل سعود على غير وفاق معها منذ انتزع سعود ابن عبد العزيز الأحساء من آل حُميد من بني خالد سنة ١٢٠٧ هـ في إمامة أبيه عبد العزيز بن محمَّد بن سعود وكانت حينذاك من أملاك الدَّولة.

وكان الحجاز ولاية عثمانيَّة يحكمها أشرافُ مكة والمدينة، وكثيراً ما ثار الخلاف بين آل سعود في نجد وأشراف الحجاز دون ما سبب ظاهر، كان الأشراف بين الحين والحين يتخطَّوْن الحدودَ التي رسمتها الطبيعة بين نجد والحجاز فيشنُّون الغارات العاصفة على ربوع نجد ثمَّ يعودون بالغنائم، وكان آلُ سعود برغم ذلك يحتفظون لهم بالمودَّة ويرعون معهم حقَّ الجوار.

لزم فيصل مع الأشراف سياسة مقابلة السَّيئة بالحسنة.. ردَّ حملةً قام بها الشريف «محمد بن عون» سنة ١٢٦٢ هـ، ما كاد فيصل يشخَص إلى القصيم لملاقاة الشريف وقبل أن يلتقي به تخاذل ابن عون وأرسل عبد الله بن لُؤي إلى الإمام يطلب الصُّلح، ثم عاد فعدل، أغراه نُصَحاء السُّوء بالتقدُّم إلى شقرا فتصدَّى له فيصل، واستبدَّ الخوف بالشَّريف وتملَّكه الرُّعب فأرسل ابن لؤيّ إلى الإمام يُعاودُ طلب الصُّلح، فكتب الإمام إليه يقول: إنَّ لك عندنا الإجلال والسَّماحة والاحتمال، وقولك مقبول وما طلبت فهو مبذول ـ بشرط أنه ليس لك في رعيَّتنا نهي ولا أمر، لا في القصيم ولا في العربان ولا في غيرهم، وأن تدفع إلينا بما وصل إليك من مُراسلات أهل نجد، فأعطاه الشريف ما أراد، فأرسل الإمام إليه هديَّة سنيَّة من الخيل والعمانيَّات ودراهم ليست بالكثيرة، فأخذها ورحل عائداً إلى الحجاز في منتصف رجب سنة ١٢٦٣ هـ.

وفي أواخر حكم الإمام فيصل زار الرَّحالة الإنجليزي بالجريف Palgreave الجزيرة العربيَّة، اخترقها من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ماراً بحائل والرِّياض، وصف أحوالها الطبيعية والاجتماعية والسياسيَّة، وخصَّ نجداً والرِّياض والدِّرعية والعيينة بكثير مما دوَّنه من فصول كتابه، وعرض لدعوة الشيخ وسجل لآل سعود مؤازرتهم للدعوة الإصلاحية، وترى الرياض من خلال ما وصف الرَّحالة وخطَّط مدينةً حصينة ذات أسوار وأبراج وأبواب، تشقُّها الشوارع الطولية والعرضيَّة وتتوسَّطها ساحة كبيرة حيث قصر الحكم والسوق والمسجد الجامع، كثيرة الدُّور والقصور، آهلة بالسكَّان، تحيط بها من الجنوب والغرب والشمال الحدائق وأحراشُ النّخيل.

الرياض في عهد فيصل بن تركي نقلاً عن بالجريف



أهمّ الأحداث في إمامة فيصل بن تركي

١٢٥٠ ـ ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٤ ـ ١٨٣٨ م

١٢٥٩ ـ ١٢٨٢ هـ / ١٨٤٣ ـ ١٨٦٥ م

١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م:

تولى الإمامة سنة ١٢٥٠ هـ، بويع بها على أثر وفاة أبيه الإمام تركي وكان وقتئذ يغزو في الأحساء، بايعه جنده وقاده جيشه وهو في الغزو[١]، ثم بايعه الناس في الرياض غداة مصرع مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود يوم الخميس حادي عشر من صفر ١٢٥٠ هـ، وكان قد استولى على الحكم فترة قصيرة على أثر غدره بالإمام تركي يوم الجمعة آخر ذي الحجة ١٢٤٩ هـ.

١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م:

رحل من الأحساء لا يكاد يشعر بحركته أحد، عائداً إلى «الرياض»، فلما كانت ليلة الثلاثاء تاسع عشر من المحرم نزل قريباً منها وبعث بنفر ممن كان معه من أهلها، «يمسكون البروج والبيوتَ المقابلة»، سكت عنهم من كان من الرجال في البروج فدخلوا البيوت والأبراج، فلما أحاطوا به عن مدارك الفرار، شبُّوا النار بالبنادق وصاحوا بالثأر ـ ولما كان بعد صلاة الصبح ركب فيصل من مكانه ودخل الرياض، وفرَّقَ الرجال في البيوت والبروج وأعلن الحرب على من في القصر. يقول ابن بشر: كان فيه مع مشاري مائة وأربعين رجلاً منهم «سويد بن علي» رئيس

---

(١) كان معه من رؤساء المسلمين الأمير عبد الله بن علي بن رشيد رئيس جبل شمّر وعبد الله بن حسن رئيس بريدة وتركي الهزاني رئيس الحريق وحمد بن يحيى بن غيهب أمير الوشم ـ وكان أمير الأحساء (من قبل الإمام تركي) محمد بن محمد بن عفيصان (ابن بشر: عنوان المجد ص ٢٩٣).

جلاجل ورجال من سبيع، تابع الحرب عليهم ليل نهار حتى طلبوا الأمان، وصعد من رجال فيصل إلى حيث كان مشاري وأعوانه أربعون، معهم «البطلُ الشجاع والصَّارم القطَّاع» عبد الله بن علي بن رشيد رئيس شمر و «بدَّاح» رئيس آل جيسن من العُجمان «والشجاع المقدام عبد الله بن خميس» رضيع الإمام، وقصدوا مشاري فقتلوه وقتلوا من معه وكانوا ستّة رجال(١).

وفد على الإمام فيصل أمراء البلدان ورؤساء العربان مهنّئين.

وفد عليه في الرياض أولاد عبد الله بن خليفة فأكرمهم غاية الإكرام.

وقعت بعض القلاقل في وادي الدواسر، فأمر فيصل بغزوه وهدأت الأحوال، وأغار على نفر من الدّواسر وهم في أرض «العَرمة» وسيَّر بعض الغزو إلى أرض «الودَّاعين» فأقام الغزو بها أكثر من شهر وأقبل رؤساء أهل الوادي على فيصل يبايعونه.

وفي هذه السنة سار فيصل بجنوده نحو «الشُعرا» فأقام بها نحو أربعين يوماً يجتمع عنده المسلمون بعد صلاة العصر للدرس والمذاكرة، ومن موضعه ذلك بعث العمال لجمع الزكاة من العربان، وممن كانوا يتردَّدون على مجلسه «محمد بن فيصل الدويش» رئيس مطير «ومحمد بن قرملة» رئيس قحطان، وهناك وفد عليه أهل وادي الدواسر يطلبون الصفح فعفا عنهم وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وأرسل معهم أميراً.

١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م:

عزل صالح بن عبد المحسن بن علي عن إمارة الجبل وعيَّن مكانه أميراً «عبد الله بن علي بن رشيد» وبعث معه الشيخ عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار قاضياً.

سارت العساكر من مكة ومعهم أحمد باشا وشريف مكة «محمد بن عبد المعين بن عون» لمحاربة عسير، فملأوا السهل والجبل، وتمكن أهل عسير بالخدعة أن يهزموا عسكر الشريف وأحلافه، وباءت حملة الشريف بالفشل وغنم أهل عسير كثيراً من خيامهم ومدافعهم وأموالهم.

---

(١) راجع رسالة الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف إلى الشيخ عثمان بن بشر يصف ذلك اليوم (عنوان المجد ص ٢٩٥ ـ ٢٩٨).

يروي ابن بشر (عنوان المجد، ص ٣١١): أن أهل عسير أرسلوا إلى فيصل بشيء غير قليل من سلاحهم وخيلهم.

وأجهز أهل عسير على من كان لديهم من عسكر العدوّ.

وفي هذه السنة بعث الإمام فيصل «زويداً العبد» ومعه مائة مطية إلى ناحية القطيف، فأمر فيه ونهى وعزل رجالاً وثبّت آخرين، ووفد عليه ولد ابن غانم أمير القطيف، وابن عبد الرحيم أمير سيهات فبايعاه على دين الله والسمع والطاعة.

١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م:

قدم من مصر إلى نجد أمير اللواء إسماعيل باشا ومعه «خالد بن سعود» ونزل ينبع وتقدم إلى المدينة فالحنَّاكية متجهاً إلى الرَّس. استشار الإمام نصحاءه فأشاروا بالتصدِّي للعدوّ في القصيم قبل وصوله إليه، واستنفرَ الإمام رعيته في الأحساء والجنوب والوشم وسدير فنَفرت إليه وسار من الرياض في آخر شوال ونزل «الخفيسة» عند الدهناء[١] وأقام فيها أياماً حتى اجتمعت له المقاتلة من كل مكان، ثم رحل إلى «الصريف»، الماء المعروف قرب التنُّومة في القصيم، فأقام عليه أكثر من شهر، وكان خالد بن سعود وإسماعيل ومن معهما قد نزلوا «الرَّس»، عندئذ رحل فيصل إلى «عنيزة» واستنفرَ أهلها فركب معه أميرها «يحيى بن سليمان» ثم إلى بريدة فنفرت معه، وسار الإمام بمن معه فنزل «رياض الخبرا» فأقام بها أكثر من عشرين يوماً وهو محارب لعساكر الترك ولكن لم يحصل بينهم قتال. وبعث بسريَّة إلى أهل الشنانة ولكنها لم تلق نجاحاً، وعاد الإمام فاستشار، فأشير عليه بأن يلزم عنيزة، يخرج منها إلى العربان الذين تابعوا عسكر العدوّ يؤدِّبهم ثم يعود قافلاً إلى عُنيزة أو بُريدة.

وأخيراً وحتى لا يحدث اشتباكٌ لا طائل تحته بينه وبين قوات العدوّ، رأى الإمام العودةَ إلى الرياض ومعه أهل الخرج والفرع[٢]، ومحمد بن قرملة رئيس قحطان وقد أذن له في الرجوع إلى موطنه حين وصل بلدة «ثادق».

---

(١) ابن بشر: عنوان المجد ص ٣١٤.

(٢) يطلق «الفرع» على مجموعة قرى واقعة إلى الجنوب الغربي من الرياض هي: حوطة بني تميم والحريق ونعام والحلوة والقويع ومفيجر.

نزل فيصل بخيامه وأثقاله خارج الرياض ومعه أهل الخرج، وتمكن بالدهاء من أن يخرج من قصر الرياض ما أراد إخراجه من مال وسلاح وأمتعة، وجعله عند رحائله وخيامه خارج البلدة، وأمر غزو الخرج بالرحيل بما معهم فرحلوا، أما هو فلم يغادر الرياض حتى كان قد استحوذَ على أربعمائة من الجياد وعدد كبير من العمانيات النجائب، ووصل الخرج وأقام بها عشرة أيام ولحقه بعض أهله ثم رحل إلى الأحساء فنزل «الرقيقة»، فخرج إليه ابن عفيصان ورؤساء أهل الأحساء يبايعونه على النُصرة، خرج ابن عفيصان من قصر «الكوت» فنزله الإمام بعياله وأثقاله، وأقام بالأحساء حتى آخر ربيع الأول من سنة ١٢٥٣ هـ.

١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م:

نزل إسماعيل وخالد بن سعود عنيزة، وأمر إسماعيل وخالد رئيسها يحيى بن سليمان باصطحاب «عيسى بن علي» من رؤساء الجبل في القديم وتنصيبه أميراً على الجبل وانتزاع عبد الله بن علي بن رشيد الذي نصَّبه الإمام فيصل قبل عام، فسبقهم إليه النَّذير فهرب من حائل، ودخل عيسى القصر تحميه قوة مؤلفة من أربعمائة فارس يشرف عليها إبراهيم المعاون.

وما أن أقيم «عيسى بن علي» أميراً على الجبل حتى عاد يحيى بن سليمان وإبراهيم المعاون إلى عنيزة وبقي عند عيسى مائة رجل من الترك.

قيل قدم على خالد أناس من أهل الرياض وأطاعت له نجد إلا أهل الخرج والفرع..

فلما كان آخر عاشوراء من هذه السنة رحل إسماعيل وخالد وعساكر الترك من عنيزة وقصدوا الرياض فوصلوها يوم السبت سابع صفر، ونزل إسماعيل وخالد في القصر ونزل العسكر خارج البلدة، فلما كان ربيع الأول خرج إسماعيل وخالد بالعساكر الكثيرة من الرياض لقتال أهل الجنوب وصارت الهزيمة على إسماعيل وخالد وقتل منهم خلائق كثيرة[١]، فلما علم بذلك فيصل خرج من الأحساء بجنوده وحاصر إسماعيل وخالد في الرياض فأعياه أمرهما فارتحل عنهم ونزل الدّلم.

---

(١) إبراهيم بن صالح بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ـ طبع دار اليمامة ١٣٨٦ هـ ص ١٦٣.

١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م:

خرج خورشيد باشا من مصر إلى نجد ومعه العساكر العظيمة، ونزل عنيزة لعشر بقين من صفر ووقعت بينه وبين أهل عُنيزة بعض احتكاكات، وفي رجب ارتحل بعساكره من عنيزة وقصد الرياض وبها خالد بن سعود، فلما وصلها وأقام بها أياماً خرج منها هو وخالد وقصدوا «الدّلم» وبها فيصل بن تركي، ووقعت بين الفريقين معركة حامية عند «نعجان»، وصمد فيصل وأعوانه ووقعت الدلم في يد العدو ورغب الطرفان في الصلح وكان قد حلَّ شهر رمضان، وتم الصلح يوم الثالث عشر منه على أن يرحل فيصل إلى مصر فيبقى بها مع قرابته، ودخل فيصل الدّلم وقضى حوائجه منها، وتم الصلح على دماء أهل الدّلم وأموالهم، ورحل فيصل وأخوه جلوي وابن أخيه عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله إلى مصر قبل انقضاء العام.

١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م:

وأمضى فيصل في مصر ما قدر له أن يقضي فيها، وفي سنة ١٢٥٩ هـ قدم فيصل إلى الجبل هارباً من مصر، فقام معه رئيس الجبل «عبد الله بن علي بن رشيد» فسار إلى عنيزة ثم إلى الرياض، وحاصر «عبد الله بن ثنيان» في قصر الرياض حتى ظفر به في ثاني عشر من جمادى الأولى ١٢٥٩ هـ فحبسه، وتوفي في الحبس في منتصف جمادى الآخرة واستقل بالملك الإمام فيصل.

١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م:

سار فيصل بجنوده من البادية والحاضرة وقصد الحسا والقطيف فأمَّن فيهما سلطانه ثم سار إلى العجمان ورئيسهم محمد بن جابر الطويل ومعهم أخلاط من سبيع وعاد إلى القطيف، وعيَّن لحكم القطيف عبد الله بن سعد المداوي وعلى الأحساء أحمد بن محمد السديري وأقام في الأحساء نحو أربعين يوماً وفد عليه خلالها رؤساء العربان ورؤساء عمان وابن سويط رئيس الظفير يقدمون الطاعة والولاء.

١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧ م:

ركب الإمام إلى الخرج وأقام فيه ينظر في العيون ويرتِّب الحصون وجعل ابنه سعود أميراً هناك.

١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م:

عيَّن الإمام فيصل أخاه «جلوي» أميراً في عنيزة.

١٢٦٦ هـ / ١٨٤٩ م:

سار فيصل بجنوده وقصد القصيم، فلما قرب من بريدة هرب أميرُها عبد العزيز آل محمد، وقصد مكة فنزل الإمامُ بريدة وعيَّن عبد المحسن آل محمد أميراً مكان أخيه.

١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م:

خرج أهل عنيزة عن طاعة جلوي بن تركي وأخرجوه منها، فأرسل الإمام ابنه عبد الله لمحاربة أهل عنيزة وسار عبد الله فقصد القصيم ووقعت بينه وبين أهل عنيزة وقعة قتل فيها «سعد بن محمد» أمير ثادق وستة آخرون.

١٢٧١ هـ / ١٨٥٤ م:

وقع الصلح بين عبد الله آل فيصل وأهل عنيزة، ورحل عبد الله وعمُّه جلوي ابن تركي إلى الرياض، وركب عبد الله آل يحيى السُلَيْم أمير عنيزة إلى الإمام فيصل واستقرَّ الصلح وهدأت الفتنة.

١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م:

حارب عبد الله آل فيصل العُجمانَ على أرض الكويت في وقعة «مَلَح».

١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م:

عاد عبد الله آل فيصل فحارب العجمانَ قرب الجهرا وقتل منهم خلائق كثيرة، ثم أغار على عرب ابن سُقيَّان قرب الزُّلفى، وتابع السَّيرَ إلى بريدة فهرب منها عبد العزيز آل محمد ومعه أولاده ورجال من عشيرته وخُدَّامه يقصدون مكة فلحقهم أخوه محمد بن فيصل وأمسك بعبد العزيز فقتله.

١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م:

في خامس عشر من جمادى الآخرة التقى محمد بن فيصل بأهل عنيزة في واديهم وصارت الهزيمة على أهل عنيزة ـ وفي هذه السنة عيَّن فيصل «محمداً بن

أحمد السديري» أميراً في بريدة وعزل عنها عبد الرحمن بن إبراهيم .

١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م:

عيَّن الإمام فيصل «الصالح آل حسين أبا الخيل» أميراً على بريدة وأمر محمّداً ابن أحمد السديري بالارتحال إلى الحسا ليكون أميراً فيه .

١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م:

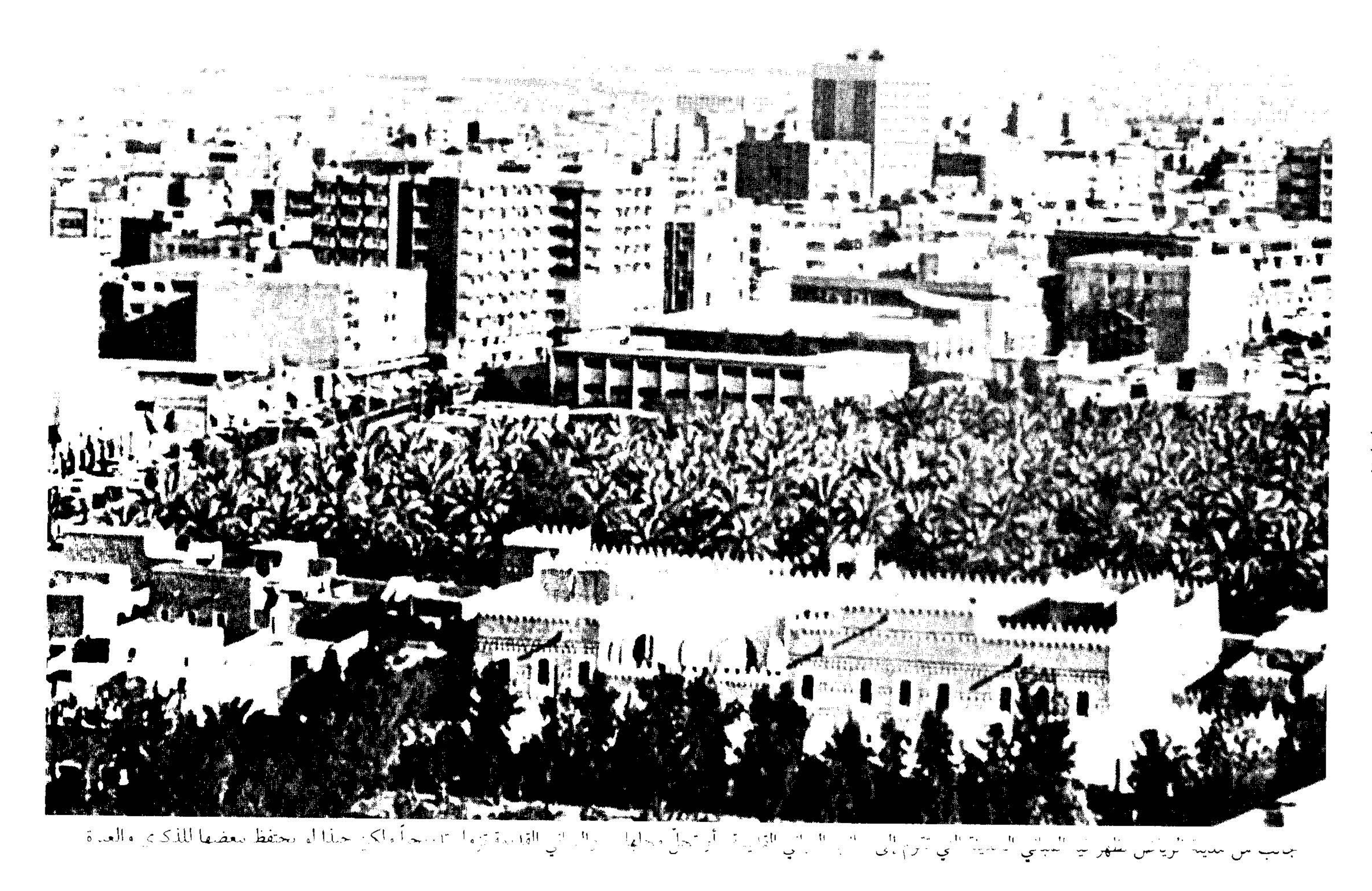
زار الرحالة الإنجليزي بالجريف الرياض على عهد فيصل بن تركي في رحلته الطويلة عبر شبه الجزيرة العربية ووصف المدينة وصفاً فريداً ، أكرم الإمام وفادته وأنزله داراً خاصة طيلة وجوده في عاصمة البلاد[١] .

١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م:

وفي هذه السنة لتسع بقين من رجب توفي الإمام فيصل بن تركي في الرياض رحمه الله ، وتولى الإمامة بعده ابنه عبد الله بن فيصل .

---

(١) انظر خريطة الرياض على عهد فيصل بن تركي .



جانب من مدينة الرياض تظهر فيه المباني الحديثة التي [illegible] إلى [illegible] المباني التراثية أو [illegible] المباني القديمة [illegible] أماكن [illegible] يحتفظ بعضها للذكرى والعبرة

نظرات خاطفة على تاريخ الرياض وجغرافيتها

الرياض بين ماضيها وحاضرها

جذورها عميقة في التاريخ، وفروعها في القرن الحادي والعشرين . .

لا تمشي الهوينا، ولكنها تعدو عدواً، بل تطير طيراناً . . في مجال العمران والرقي، وما غاب أحدٌ عن الرياض عاماً واحداً أو أقل من عام، ثم عاد إليها، إلا أدهشه ما يرى فيها من تغيير مثير، حتى إن العالم البلداني «الجغرافي»، الذي يجب أن يصف أحوال البلدان، و «تطورها» ليعجز عن متابعة مسيرة الرياض في توسعها وعمرانها ونهضتها . . فالطرقات والأرصفة والجسور «الكباري» والساحات والمباني الفخمة، وما يتبع ذلك من وسائل الحضارة وأسباب التنعم و «الترفيه»، كل أولئك ينبت هنا وهناك، في الشرق والغرب والشمال والجنوب، كما ينبت العشب الطيب المنور في الموسم الطيب، بسرعة وبكثرة، فإذا القفار تموج ببحرٍ لا حد له من الخضرة والأنوار والأزهار .

وتتحول «الصحاري» وأشباه الصحاري والقرى الغامرة ـ التي تجاور مدينة الرياض المعمورة، وتؤلف «مداها الحيوي» ـ إلى أحياء سكنية أو تجارية أو صناعية، وتندمج في المدينة، فإذا المدينة تكبر وتكبر، مرتين وثلاثاً وأربعاً . . وعشر مرات . . وأكثر وأكثر . . ولا أحد يعرف أين . . ومتى تقف المسيرة الجبّارة! .

وحُقَّ للرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية، التي تحتل بين دول العالم كله مكانة عظيمة مرموقة، أن تكون تعبيراً حيًّا و «تجسيداً» ملموساً لتقدم المملكة السريع في كل مجالات النهضة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية .

ولصاحب السمو الملكي، الأمير سلمان بن عبد العزيز، الذي تولى إمارة الرياض وهو في عنفوان الشباب، أن يقول مفاخراً:

إن قاعدة إمارتي قد ضربت الأرقام القياسية العالمية في التوسع والعمران!

والناس، حين يذكرون الرياض، يذكرون أميرها النبيل، فاسمه مقترن باسمها، وبفضل نباهته وكياسته وإخلاصه ـ وفي ظل ممدود من عناية الحكومة السعودية ورعايتها ـ تحققت في الرياض «منجزات» عظيمة جداً، ولولا أن الناس يرونها رؤية العين لظنوها أحلاماً وأماني!.

كلمة سمو الأمير سلمان، حفظه الله

في اجتماع اللجنة العليا
لتطوير مدينة الرياض
واللجنة التنفيذية العليا للمشاريع والتخطيط

نشرت جريدة «الجزيرة» في عددها (٧٧٧٦) الصادر في ١٢ يناير ١٩٩٤ م تصريحاً صحفياً لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز، أمير منطقة الرياض ورئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ورئيس اللجنة التنفيذية العليا للمشاريع والتخطيط، قال فيه: إن تنفيذ المشاريع التطويرية في مدينة الرياض قد بلغ إجمالي تكاليفه حوالي ٥٧٠٠ مليون ريال.



وأضاف سموه في تصريح صحفي عقب ترؤسه مساء أمس الاجتماع الثاني لعام ١٤١٤ هـ للهيئة العليا، والاجتماع التاسع والثمانين للجنة التنفيذية العليا والذي عقد بمقر الهيئة العليا بحي السفارات: «لقد قطعت مسيرة التطوير والتنمية في مدينة الرياض أشواطاً كثيرة في إطار من التوازن والتكامل وذلك بدعم سخي من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله ورعاه.

وأنا أتطلع مع كل مواطن بتفاؤل كبير إلى استمرار مسيرة التنمية بكل زخم وقوة حيث إن هناك الكثير من المشاريع التي تجري دراستها في الوقت الحاضر توطئة لتنفيذها وأفضل الحديث عنها عند توقيع عقودها بإذن الله».

وتطرق سموه إلى الحديث عما بحث في الاجتماعين المذكورين من خطط ومشاريع تطويرية في مدينة الرياض فقال سموه: لقد أقرت الهيئة العليا في هذا الاجتماع الخطة المقترحة لتقسيم المرحلة الثانية من النطاق العمراني لإتاحة أراض داخل هذه المرحلة لاستيعاب النمو العمراني المتوقع في المدينة في الفترة من عام ١٤١٥ هـ، إلى عام ١٤٢٠ هـ، كما أقرت الهيئة السياسات والضوابط المقترحة لمعالجة وضع الأراضي الواقعة خارج النطاق العمراني محصورة بين حدود هذا النطاق وحدود حماية التنمية.

وأضاف سموه: إن الهيئة أقرت ضوابط البناء المعدلة الخاصة بالمنطقة الواقعة بين طريق الملك فهد وشارع العليا من شارع المعذر جنوباً وحتى الضلع الشمالي للطريق الدائري شمالاً، وقد هدفت هذه التعديلات إلى تشجيع مبادرات القطاع الخاص لإقامة مشاريع عمرانية متميزة في المدينة والرفع من المستوى المعماري للمباني والمنشآت..

وبالنسبة للجنة التنفيذية العليا للمشاريع والتخطيط لمدينة الرياض قال سموه: إن اللجنة وافقت على توقيع خمسة عقود لإنشاء وتصميم بعض المشاريع التطويرية في مدينة الرياض مع خمس مؤسسات وطنية منها عقدان لإنشاء شبكات تخفيض منسوب المياه الأرضية في أحياء مختلفة من المدينة تبلغ تكلفتها حوالي مائة وعشرة ملايين ريال ومدة التنفيذ أربعة وعشرون شهراً، وتشكل هذه المشاريع جزءاً من البرنامج العلاجي الشامل الذي تقوم عليه الهيئة العليا للسيطرة على هذه المشكلة.

والعقد الثالث لإنشاء مركز للدفاع المدني بمنطقة قصر الحكم وإدارة الدفاع

المدني بمدينة الرياض بقيمة تبلغ حوالي خمسة عشر مليوناً وستمائة ألف ريال، ومدة التنفيذ خمسة عشر شهراً.

والعقد الرابع لإنشاء مقر مكتب التربية العربي لدول الخليج بحي السفارات وتبلغ قيمة العقد حوالي أربعة عشر مليون ريال، ومدة التنفيذ خمسة عشر شهراً.

والعقد الخامس لتصميم مقر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بحي السفارات وتستغرق مدة تصميمه ستة أشهر، وتبلغ قيمة العقد حوالي مليون ريال وسيبدأ إنشاء مقر هذه المنظمة الدولية حال إنجاز التصاميم الخاصة به حيث تم اعتماد المبالغ اللازمة لذلك.

وأبدى سمو الأمير سلمان في ختام تصريحه شعوره بالرضا والسعادة إزاء ما تحقق لمدينة الرياض من تنمية وتطوير في سياق خطط الدولة وجهودها التطويرية التي شملت سائر أنحاء المملكة.

وقد أوضح المهندس عبد اللطيف بن عبد الملك آل الشيخ عضو الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ورئيس مركز المشاريع والتخطيط بالهيئة أن الأحياء التي يشملها هذان العقدان هي الخالدية والعزيزية وبدر والعريجا الغربية والسويدي الغربي وطويق والنزهة والواحة والمروج والرائد والمصيف وأم الحمام والربوة.

وهناك حالياً يجري تنفيذ أعمال شبكات تصريف المياه الأرضية وستكتمل قريباً إضافة إلى ما جرى تنفيذه سابقاً.